

# النشاط الثقافي في العالم

يسوس امورهم « رئيس وزراء » ومجلس شوري ، ولا شيء غير ذلك ، اللهم الا العلماء الذين يلوذ بهم المجتمع في الازمات . وبوجه عام يبدو مجتمعهم اشبه بيوتوريا مستقبلية مبهرة .. وسعيدة بحق .

غير ان جسد ذلك المجتمع تسرح فيه الحشرات الزعجة : « الهوم » المتخلفون الذين يقتني الجوروم بعض صفارهم كحيوانات اليفة، وعندما تكبر تلك الحيوانات يأخذونها من صفارهم ويستخدمونها فيما نستخدم فيه الكلاب الآن ، خاصة في القنص ، عندما يخرجون لصيد « الهوم » المتوحشين الذين يعيشون مختفين في جلوع بعض الاشجار الضخمة بعيدا عن العمران ، ويفيرون بين الحين والحين على مخازن الجوروم ويسرقون الطعام . والجوروم ، بوجه عام ، منقسمون في شان الهوم قسمين : احدهما يرى اعادة تلك المخلوقات المتخلفة الضارة والتخلص مرة واحدة من فئرتها واذاها ، والقسم الآخر لا يسرى ان تلك المخلوقات تستحق حتى عناء ذلك . ولما كان مجتمع الجوروم قائما على التوازن ، فان العرف جرى على القيام بحملات اعادة جزئية على مستعمرات الهوم ، بين الحين والحين ، للتوفيق بين مواقف المحافظين والليبراليين !

الا ان شيئا ليس في الحسبان ما يلبث ان يحدث فيقلب المعايير ويغير كل شيء . فقد اقتنت ابنة « رئيس الوزراء » طفلا نيما من اطفال الهوم قتل بعض اترابها امه وهم يلهون بها . ويشب ذلك الطفل البشري في بيت الحاكم، ورويدا رويدا ينفخه فضوله الانساني الموروث الى الاستكشاف والتعلم . ولحسن حظه وحظ نوعه ، تحتضنه ابنة الحاكم ( كما تحتضن الطفلة دميته او دنيا اللعبة او كلبها ) وهي تلقن دروسها اليومية من جهازها الاليكتروني . وبفضل الفلوق الاليكتروني الموضوع في عنق الطفل لينجح لها اعادته اليها كلما ذهب بعيدا ، بالتحكم البعيد ، يلقن الطفل الدروس اليكترونيا ، دون ان يظن الى ذلك احد . وذات يوم يهرب بذلك الجهاز وتسوقه الصدفة الى نوعه البشري ، ويغير القبيلة التي تعثر عليه احدي بناتها بأمر ذلك السحر الذي اتاهم به . وكما هي العادة يتصدى له ساحر القبيلة ويريد قتله ، لكن القلبة تكون في النهاية للصبي الذي ما يلبث ان يفتن الجميع باستخدام الجهاز والتعلم منه . وفي النهاية يصنع المتخلفون سفن فضاء ويهون ثايرين على الجوروم الذين كانوا الى عهد قريب يرشونهم بالبييدات الحشرية ويطاؤونهم بالاقدام كما نطأ الحشرات ، ويهربون من كوكبهم ، ويحاربونهم، وتوشك حضارة الجوروم على الانهيار لولا ان يتقلب بعض عقلاهم ( او حماهم ) على صقورهم ، ويقعدوا صلحا مع الهوم الذين باتوا اندادا لهم .

وبصرف النظر عما في الفيلم من جمال وامتاع ، خاصة في شطحات خيال الفنان وانطلاقاته غير المحدودة في تصور وابداع النباتات والحيوانات والمناظر الطبيعية الخرافية ، ذلك الابداع الذي واكبته ، وربما سبقته احيانا موسيقى الفيلم التي وضعها الآن كوراجور ، قد يكون في « الكوكب الخرافي » اكثر من وجه شبيه بكوكب آخر نعرفه وليس خرافيا انقسم من يقيمون على سطحه الان الى « جوروم » عمالقة متقدمين ، و « هوم » متخلفين يتضادون من يوم الى يوم ، ويبادون فعلا ، بالجوع والفقر والجهل والتخلف والانسياق وراء « سحرة القبيلة » .

\*\*\*

وعلى نفس درب الخرافة ، اخرجت ستوديوهات والت ديزني فيلما اشبه بحكايات جول فيرن ، بعنوان « جزيرة فوق سطح العالم »

## ازكتر

من مراسل « الآداب » شفيق مقار

### الكوكب الخرافي

من الذكريات التي لا تمحى ذكرى فيلم رسوم متحركة لوالدت ديزني اسمه « فانتازيا » زاوج فيه ذلك الفنان بين فنون التصوير والسينما والموسيقى ، فتوصل الى خلق عمل فني ما زالت حية في النفس منه ، منذ مطلع الخمسينيات فيما نظن ، تجربة التعبير عن لحن من الموسيقى البحتة بالخطوط والالوان ، وتجربة اخراج لحن مسورسكي ، « ليلة على الجبل الاجرد » بأسلوب « الكارتون » . ولعل تلبث تلك الخبرة ( التي بدت في وقتها انكشافا مبهرا ) بعض السبب في الانسحار بتجربة مماثلة جديدة هي فيلم « الكوكب الخرافي » الفرنسي - التشيكي الذي حصل على جائزة امتياز خاصة بمهرجان « كان » ، ووصف بأنه « فيلم من أفلام الخرافة العلمية بالرسوم المتحركة » ، وما زالت تعرضه سينما الأوديون بسانت ماريتز ليلين منذ شهر .

وقد تعاون في إنتاج الفيلم واخرجه وكتابه واعداد موسيقاه عدد من الفنانين يبدو من النجاح الذي حققه فيلمهم في فرنسا وبريطانيا أنهم وضعوا أيديهم على وسيط جديد للامتاع النظيف يحول استخدامات الرسوم المتحركة من مجال أفلام الاطفال وافلام الاعلان الى سينما البالغين .

وقصة الفيلم مألوفة لهواة ذلك النوع الادبي الجديد : قصة الخرافة العلمية ، لكن الناجح حقا اسلوب المعالجة والتلاحم بين الموسيقى والرسوم .

يحكي الفيلم قصة مستعمرة بشرية تعيش « تحت الارض » على كوكب يمره جنس من مخلوقات راقية عملاقة تشبه البشر شكلا لكنها تختلف عنهم حجما ، في كل شيء . ويقتني بعض صفار تلك المخلوقات اطفال البشر « ألسنانيين » كما يقتني الاطفال الآن القطط والكلاب . فالإنسان الذين نحن منهم ، واسمهم في الفيلم « الهوم » من لفظة homme الفرنسية ، بمعنى انسان ، يمثلون الطرف المتخلف في ذلك الموقف الدرامي ، بينما يمثل العملاقة زرق اللون ذور العيون الضخمة والاذنفة الكبيرة ، الذين يستطيعون التحليق في الهواء والطيران بقوة الفكر و « التأمل » ويدعون في الفيلم « الجوروم » ، يمثلون الطرف الاقوى المسيطر المتقدم . وبطبيعة الحال فان الثراء العلمي والتقني يمثل العنصر الاساسي في ذلك التقدم . فالجوروم قوم متحضرون ، لا تراهم مجتمعين الا في حلقة علم او مجلس شوري يتناقق سياسة شئون حياتهم ، وهم يلقنون صفارهم كل حصيلتهم الضخمة من المعارف من سن ميكرة ، لا في المدارس ، بل كما يفلب ان يصحح التعليم في المستقبل : عن طريق جهاز ناقل اليكتروني يوضع حول الرأس ويتلقى منه لابه سيليا متواصلا من المعارف في مختلف الفنون والفلسفات والعلوم . وفي حلقات الدرس ( الاكاديميات التي يؤمها الكبار من المتخصصين لمناقشة مختلف المشكلات النظرية والتطبيقية ) تستخدم شاشات تليفزيونية ضخمة تظهر عليها صورة المتحدث وصور تجسد موضوع المناقشة او الحديث . وسياسيا ، يبدو لولئك « الجوروم » اقرب الى المجتمع « الديمقراطي » المعاصر ،

الابن الذي اعاده ابوه الى عالم التقدم والحضارة وقد هذا واستقر بعد مفارقاته ، ووعده بان ينخرط في « دنيا الاعمال » ليواصل « رسالة » ابيه ، أم العالم الاميركي الذي ترك دنيا التقدم والحضارة واختار ان يبقى مع اولئك الفايكنج الذين يعيشون في عالم جميل حقا لكنه قاس ووحشي ؟ يقول فيلم « الاكلة الكبرى » ان العالم الذي اختار الفايكنج كان الرابع بغير شك في تلك القسمة .

يعكس فيلم *La grande bouffe* قصة انتحار جماعي . لكنسه انتحار فريد في نوعه : انتحار بالاكل والجنس . ولعله مما جعل ذلك الموضوع ممكنا ان الفيلم اوروبي - فرنسي - ايطالي مشترك وليس اميركا او متامركا ككثرة من الافلام الهزيلة التي باتت تخرجها استديوهات السينما البريطانية المحترمة . وبطريقة ما يسند الفن الوافد من القارة اكثر « تحضرا » واقدر على النظر ، بجسرة حفية ، داخلا وخارجا . وهناك تيار جديد في السينما البريطانية يحاول باستنارة الخلاص من قبضة « الامريكائوس » والنظر الى الاشياء باعين اوروبية ، لكنه مازال وليدا مخلخل الساقين . بل ولقد امتدت المحاولة الى دور العرض ذاتها ، فظهرت يحي نوتينجيل جيت سينما تجتهد في مواكبة تلك المحاولة ، فلا تعرض الا افلاما يمكن ان توصف بأنها متحضرة ، اي نظيفة من السعار الاميركي والمستوى الاحط للسينما الاوروبية . وهناك بغير شك جمهور كبير لذلك النوع من السينما النظيفة . ولا نمي بالنظيفة المتزمتة او المتألهة . فيلم « الاكلة الكبرى » استمر عرضه شهورا بسينما كورزون رغم ان السيدة الفاضلة ماري وايتيوس ، حامية حمى الفضيلة في السينما البريطانية خرجت منه وهي « تفي » على حد قولها للصحف ، وحاولت ايقاف عرضه بمختلف الطرق . ولعل للمسز وايتيوس عذرها ، فالفيلم وحشي ما في ذلك شك ، وكاشف في وحشيته الفظة . والمسز وايتيوس ، باخلاقياتها البورجوازية ذات الطابع البريطاني الفكتوري ، تمثل ، بغير شك ، « المؤسسة » في المجتمع البريطاني المأزوم ، وهي مؤسسة باتت تجد نفسها ( بعد هدنة اجتماعية طويلة ومريحة امتدت طوال سني الرخاء والوفرة ) محاصرة بين الازمة الاقتصادية الطاحنة التي تعاني منها بريطانيا كسائر بلدان الغرب الصناعي ، وبين ما أمسّت تلك الازمة تهديد بتفجيرها من صراعات طبقية امكن احتواؤها حتى الان . ولقد حاولت المؤسسة في بريطانيا مؤخرا ان تعيد عقوبة الاعدام بعد ان ظهرت بريطانيا مسن وصمتها ، بحجة مقاومة « ارباب الايرلنديين » وحماية ارواح « السادة المواطنين اليرباء » ، ولا نظن ان تلك ستكون المحاولة الاخيرة لتصفيد حملة « المحافظة على القانون والنظام » الى مرحلة ضارية يطل خلالها الجلاذ على المجتمع البريطاني من جديد . ودائما تتواكب حملات « المحافظة على القانون والنظام » مع حمى « المحافظة على الفضيلة ومكارم الاخلاق » . ففي رسالة لناخب اميركي يريد ان يفهم ما يدور حوله ، « بصت بها الى باب « رسائل الى المحرر » باحدى المجلات الاميركية ، يقول ذلك الناخب : « ان جمهور الناخبين بولاية كاليفورنيا مطالبون الان لا باعادة عقوبة الاعدام فحسب ، بل وباخضاع انفسهم لاشد انواع الرقابة قسوة وصرامة بحجة المحافظة على اخلاق الشيء . والطريف ان عددا من المحامين ورجال الدين الليبراليين قد طنسوا الى ما في تلك الحملة المستترة وراء الرغبة في المحافظة على الفضيلة من مخاطر ، فوصفوها بأنها « خلو من العقل » و « ساذجسة بدرجة تثير الحرج » وحتوا جمهور الناخبين على مقاومتها بشقيها . وفيما يخص الشق الذي دعي فيه الناخبون الى عقوبة الاعدام ( على سبيل التحدي لقرارات المحكمة العليا للولايات ، والمحكمة العليا للبلاد التي وصفت الاعدام بأنه عقوبة وحشية وغير عادية ) يقول رئيس بوليس لوس انجليس ان حملة الدعوة الى اعادة تلك العقوبة تمثل بالنسبة للقائمين بها عملا من اعمال الحب المشوب ! فلا عجب ان السيدة الفاضلة ماري وايتيوس تخوض حملة صليبية ضد الاسلام التي من

ومرة اخرى يدور الفيلم حول مواجهة بين عالم متقدم وعالم قديم متخلف بل ومنسي من مئات السنين . والقصة بسيطة . رجل اعمال بريطاني توي نه ابن شاب مفارم ذهب الى منطقة قطبية في الشمال ، سعيًا وراء اسطورة الجزيرة « التي تلهب اليها الحيتان لتموت » ، لكنه لم يعد . ويقرر الاب اثري فوي الشكيمة ان يلهب فيبحث عن ابنه الذي تزوده فيما يخصه مشاعر ذنب ، فقله قسا عليه اكثر مما يجب في محاولة عينية يجمعه صورته متكررة منه .

وهكذا تبدأ رحلة اخرى من رحلات البحث عن عزيز مفقود. يشترك في هذه الرحلة ثلاث ذومغزى : رجل الاعمال ( الاب ) ، والمهندس المخترع المبدع الصانع ( الفرنسي غريب الاضواء خفيف الظل الذي يصمم متنادا عظيما ويصنعه ، في اخريات القرن الماضي ) ، والعالم الاثري الشجاع الذي يستدرجه الاب للاشتراك في الرحلة لانه متخصص في ميثولوجيات الشعوب الشمالية . والواقع ان كلا من المخرج وكاتب السيناريو لا يفتان المعنى الاساسي للمغامرة والثلاث القائم بها - وهو المعنى الذي يبدو وانه كان شغلها الشاغل - فيجب عنك لحظة ، خشية ان يتوه منك احساس الانبهار بالمروح الغربية المتصفا بالمباداة والخيال والمغامرة والابتكار وقوة الشكيمة ، التي يجسدها الاب اثري « المنظم » الذي لا يشنيه عن عزمه شيء ويستقبل كل المخاطر في سبيل انجاح « مشروعه » مهما كان خرافيا محفوا بالمهالك ، ويجسدها ايضا المهندس الفرنسي الذي يصنع المتناد ويقوده عبر القارة والجبال والبحار الى اقصى الشمال ، ويجسدها ايضا العالم الاميركي بعلمه الفزير وتمكنه من تراث الماضي السحيق ، فيمثل ، بشبابه الاميركي وعلمه بنماضي تواصل واستمرارا لتراث واحد نام باستمرار ومتطور الى آفاق لا تحدد .

وفي قرية من قرى الاسكيمو يحط بها المتناد بأقصى الشمال ، يشر الباحثون على « المتوحش الطيب » ، شاب من الاسكيمو كان رفيقا لابن المفقود ودليلا له في رحلته التي لم يعد منها ، فيأخذه الاب معه في المتناد بخديمة والمتوحش المسكين يموت خوفا من ذلك الطائر الاسطوري الذي استدرج الى احشائه فانطلق به محلقا في اجواز الفضاء .

وفي قرية من قرى الاسكيمو يحط بها المتناد بأقصى الشمال ، يشر الباحثون الثلاثة على « المتوحش الطيب » ، شاب من الاسكيمو كان رفيقا لابن المفقود ودليلا له في رحلته التي لم يعد منها ، فيأخذه الاب معه في المتناد بخديمة والمتوحش المسكين يموت خوفا من ذلك الطائر الاسطوري الذي استدرج الى احشائه فانطلق به محلقا في اجواز الفضاء .

ويصل الاربعة بمنطادهم الى الجزيرة المنسية في قمة العالم ، ويكتشفون بها قبيلة منزلة منسية من قبائل الفايكنج اغلقت عليها ابواب عالمها الثلجي الصغير مختلفة بتناقضاتها القديمة ولضتها منذ مئات السنين ، ويعثرون على الابن المفقود هناك وقد وقع في هوى فتاة شقراء من فتيات القبيلة بارعات الحسن . وبعد مفارقات ، وكروفر ، واصطدامات - مرة اخرى - بساحر القبيلة الذي يعتبر المتناد طيرا جهنميا ونذير نحس وفناء ، يعود الاب الى عالم الحضارة ، منتعرا بابنه وفتاة الفايكنج الحسنة ، ويرفقه المهندس الفرنسي وفنى الاسكيمو المسكين الذي رأى في رحلته الاحوال ، تاركين وراءهم زميلهم العالم الاميركي - باختياره - رهينة لدى قبيلة الفايكنج التي جعلت من حرية « المغيرين » في العودة الى عالمهم بقاء واحد منهم ضمانا لعدم افشاء سر وجود القبيلة في عالم المنزل ذاك ، فوق سطح العالم . وقد رحب العالم الاميركي بذلك لانه وجد في بقاءه بين اولئك القوم فرصة ذهبية لاتتاح لاي عالم لدراسة تلك الثقافة الغابرة الكبرى التي ظلت حية - بمرجزة - منزلة عن كل التاثيرات .

الاكلسة الكبرى

ولكن ، اي الاتنين كان اسعد حظا في تلك القسمة بين عالمين ؟

نوع « الاكلة الكبرى » ، بينما تخوض السيدة جيل نايث ، العضوة المحافظة بمجلس العموم ، حملة صليبية لاعادة عقوبة الموت . فالملتان متكاملتان ، ووجهان لقضية واحدة ، قضية مؤسسة مندورة مهددة تحاول ان تحكم قبضتها بكل الطرق على الرقاساب والعقول والنفوس .

ولقد يبدو مما قلناه في مقالنا السابق عن تشجيع المحلل والتسيب في وسائل الترفيه ، وعملية التخدير الشامله المسنمره وتحويل العدوان ، باستخدام اعلام انجس والعنف ، وما نقوله الان عن حملات « اعادة المجمع الى درب الانضباط ومكارم الاخلاق » ، اننا ما ان فهمنا للواقع الاجتماعي والانساني الذي نتناوله متضارب ، واما ان تلك « المؤسسة » التي تحدث عنها نتخط وتنافس نفسها . لكنه لا هذا ولا ذلك . ولقد قلنا في المقال السابق ان هناك اناسا يفهمون كل يوم بحملات صليبية ضد الامتهان للنوازح الانسانية المتمثل في « الفني » المكتشف والعري والجنس وكل ذلك » ، لكنه شتان ما بين افلام الانارة والتخدير الرخيصة الفارقة فيها دور العرض باوروبا ، وبين الاعمال الفنية الحقيقية التي تتناول الواقع الانساني بصراحة ويقوم بتعريفه والفوض الى اعماقه . انه نفس الفرق بين فسه جنسية رخيصة لا هدف لها الا الانارة ودغدغه الحواس ، وبين عمل فني يتناول انجس بين ما يتناوله من اوجه الواقع الانساني ، بعلم د . ه . لورنس ، مثلا ، او بقلم هنري ميلر . والحزن ان الهجوم الجدي الحقيقي الذي تشنه المؤسسة ليس ضد افلام « آليات عندما يخلعن ثيابهن » او حتى افلام كيلم « بواب الليل » ، بقدر ما هو موجه ، بكل صراوة وصراحة ، الى الافلام التي من نوع « الاكلة الكبرى » . ولقد تضطر « المؤسسة » في المجتمعات الاوروبية المازومة المعرضة لمخاطر اجتماعية تزداد فبحا وحدة من يوم ليوم ، الى انزال قبضتها - آسفة - على افلام العري والجنس الرخيص ، في معرض دفاعها عن « قيم الطبقة المتوسطة » التي تحاول عن طريق ترسيخها الان كقيم اساسية للمجتمع كله ان تصد غوائل التغير الآتي ، لكنها لن تعلم وسيلة او اخرى تحول عن طريقها العدوان وتزود الجماهير الخطرة بجرعة التخدير اليومية . وهناك كما قلنا في المقال السابق امكانيات لا تحد في مجال تحويل الرياضة الى ما يشبه ساحات الالعاب الرومانية الدموية القديمة . وهناك ايضا « اسابيع الكراهية » التي تستخدم فيها الحملات المركزة المكثفة عن طريق وسائل الاعلام وال « تثقيف » الجماعي ، التسيب تنبا بها ارول ، لتحويل المقت والعدوان الى « الآخرين ، الغرباء ، الاشرار ، المختلفين » . وهناك بالفعل شيء كهذا يجري في بريطانيا وغيرها من بلدان اوروبا التي تشدد فيها « المؤسسة » قبضتها على المجتمع رويدا رويدا ويحذر ، استنادا للطوارئ الخطرة التي تبدو نفرها منذ الان واضحة . فجنبنا الى جنب مع الحملات الشبيهة بتلك الحملات التي بعث الناخب الاميركي الى مجلته رسالة حارة في شأنها ، حملات « المزيد من القانون والنظام ، والمزيد من الانضباط ومكارم الاخلاق » ، تقوى وتتحدد بجلاد اكثر من يوم الى يوم حملة كراهية ضارية ضد العرب بالذات ، « اولئك الاشرار الذين اخنوا اموال المتقدمين عن طريق « الابتزاز النطفي » ، وبدأوا الان يحاولون شراء اقتصاديات القرب بتلك الاموال التي ابتزوها منه » . وبطبيعة الحال يركب اليهود تلك الموجة جذلين ، ويزيدونها سعارا ، ويفيتون منها ، الا انها - اساسا - من قبيل ميكانزمات الدفاع التي اسماها ارول باسابيع الكراهية .

والمشكلة ان الازمة التي تمر بها مجتمعات القرب المتقدمة ليست - كما قد تبدو - اقتصادية سياسية اجتماعية فحسب . فهي كذلك وشبه اخر ، لان تلك المجتمعات تعاني من قبل مرحلتها الراهنة ازمة ثقافية انسانية عميقة وخطرة ، ساعدت سني الوفرة والرشاء التي

سبقت الازمة الراهنة على تلطيف وقعها ، وان ظلت تعبر عن تمزقاتها وتورباتها من حلال ما عرت بتورة السباب وحركات الشباب وما الى ذلك من نمللات لعبت دورها بغير شك في خلق مابيات يعرف الان باسم « المجتمع المتسامح » الذي بانت « المؤسسة » تعتبره - بشكسل يزداد انضاحا - خطرا من المخاطر الرئيسية التي تتهدد « نظام الانسياء » . تلك الازمة الثقافية ( والتفاهة هنا تعني « طريقة حياة شعب او مجموعة شعوب » ) الانسانية ، تمثلت اساسا في « الفجوة الثقافية » بين التقدم العلمي والمادي ( التكني والصناعي ) ، وبين القدم الالامادي الانساني المتمثل في المعتقدات والنظم ، وما ترتب على تلك الفجوة من احساس باحتماذ الاجاه وافتقاد المفزى بشكل وضع الانسان الاوربوي - خاصة في غيبة الايمان الديني - في مواجهته خيار مهلك بين تقبل تقدم مادي مفرغ من المفزى ومحاولة افتعال مفزى ما يبرره من حلال الانكباب على ما يبغىه من ضروب الترف المادي والمتعة الحسية ، وجعل ذلك الاعماس « طريقة حياة » ومبررا للاسمرار في مثل ذلك التقدم ، واما التردد على مثل ذلك التقدم ( وبالتالي على القوى الاجتماعية والانسفة الاقتصادية والسياسية التي اوجدته وبهها ان تجعله متواصلا مطردا لا ينقطع ) ومحاولة اخضاعه لمطالبات الحياة الانسانية السوية التي تجعل التقدم وسيلة لا غاية ، وتضع القيم الاخلاقية والجمالية والروحية فوق تقدم كميته في ذاته ، وبالتالي: محاولة تغيير طريقة الحياة واسمه السياسة والاقتصاد والعلافات الاجتماعية . ولقد امكن - كما قلنا - وضع ذلك كله في تلاجة التبريد العميق ابان سني الرخاء والوفرة واطراد التقدم التكني ، واحتواؤه ، رغم هبات التمرد المتفرقة . اما الان فتواجه « المؤسسة » في البلدان الصناعية الازمة الاقتصادية بكل مترنباتها الاجتماعية والسياسية ، وتواجه ايضا تفجر تلك الازمة الثقافية الانسانية التي اجلت او سوفت مواجهتها حتى الان . وككل ظواهر الاجتماع والانسيات ، توجد تلك الازمات جميعا في حالة نشابك وتداخل وتتبادل التأثير فيما بينها ، وتضطر المؤسسة الى المحاربة في اكثر من جبهة في وقت معا . وهو ما قد يفسر لنا موقف العقلية التي تمثل المؤسسة من افلام كيلم « يا لك من رجل مجدود الحظ » ، اوفيلم « الاكلة الكبرى » .

والحقيقة ان « الاكلة الكبرى » فاضحة . فالفيلم يقول ان المجتمع الاوربوي تحول الى مجتمع بطين مترهل غارق في الحسيات لا يعرف اي شيء يمكن ان يفعله بكل ثرائه و « تقدمه » الا ان ياكل ويمارس الجنس كالحيوان ثم ( ولا ندرى ان كان ذلك تنبؤا ام تقرير واقع ) يموت غارقا في فضلاته .

ابطال القصة جماعة من « الناجحين » : قاضي ، ومخرج تليفزيوني ، وطيار ، ورجل اعمال ، تربط بينهم مشارب تتمثل في حب الطعام والجنس ، يجتمعون بين الحين والحين في بيت ريفي جميل لاحتهم ، يشبعون فيه هواياتهم المفضلة . لكنهم - بعد تكرار - يمتلكهم الملل ، ويتسرب الملل الى كل سبل حياتهم ، فيقررون ان يكون اجتماعهم الاخير « عشاء اخيرا » رهيبا ، يبدأ فلا ينتهي الا بالموت . ويعدون لعشائهم الاخير بكفاءة اوربية عالية وتنظيم دقيق ، فيكندسون في مخازن البيت الريفي ونلاجته مؤنا تكفي لجيش باكملته ، ثم يذهبون الى البيت ويوصلون ابوابه عليهم بعد ان يصرفوا حارسه العجوز . بعد ان يصرف صاحب البيت « مندوبا من سفارة الصين » جاء فوجده بانتظاره ليقدّم اليه هدية نادرة يرفضها بادب لانه لا يريد ان يكون مدينا بفضل واحد او « ملتزما بشيء تجاه احد » . وبعد انصراف الخفير والمبعوث الصيني ، يستقرون وينصرفون بكل جد الى ما جاؤوا لاجله ، وتبدأ الوليمة الكبرى ، والكمل طهارة يتبارون في صنوف الطعام والحلوى التي يتفننون في ابتكارها واعادتها .

وتستمر الوجبة الشبيهة بوجبات الرومان اياما ، ثم يتذكرون

الجنس ، فيستقدمون عددا من بانعات الهوى ليشاركهنم الوليمة . لكن الصنفة تسوق اليهم ايضا امراه لم تكن في الحسبان : مدرسة اطفال تصحب الصغار الذين تعلمهم في رحلة خلوية يتضمن برنامجها زيارة البيت الريفي الذي يعتبر ، بتحفه الثمينة ومعماره ، من معالم المنطقة . وتروى المرأة في اعينهم فيخرونها بسبب مجيئهم ويدعونها الى مشاركتهم الوليمة . وترحب المرأة بالدعوة ، فلا تكاد تنتهي من مهمتها وتعيد بلايئها الى المدرسه حتى تأتي مسرعة الى اصحابنا الاربعة ، وتشترك مع بانعات انهوى الاربعة في الترفيه عنهم . وعندما تحس الفتيات بالتفرز من تلك الوليمة التي لا تنتهي وينسحبن غير قادرات على البقاء اكثر مما فعلن ( بل وفيه احداهن تقززا ) ، تنفرد المريسة الفاضلة بالفرسان الاربعة ، وتشاركهم الاكل كما تشاركهم الفراش . ويموت اول الفرسان من التخمه والافراط ، فيصومونه في تلاجة ، بعد ان ينظفونه ويلبسونه ثيابا انيقة . ولما كان باب التلاجة ( غرفة تبريد كبيرة ) زجاجيا ، فانهم يستطيعون ان يروه جالسا وراء الزجاج متخسبا « يرقبهم » وهم جلوس الى المائسدة سادسين في وليمتهم الوحشية التي تحدث اكثر من يوم الى يسوم وكانهم يتعجلون النهاية . وفجأة يحس الطيار بالتفرز الذي احسته بانعات الهوى ، ويقرر الانصراف ، فيخرج الى الحديقة ويفتح بابها ، ويدفع سيارة قديمة وجدا بالجاراج وظل قبلة الوقت يختلس لحظات ينهب الى تلك السيارة فيها ويستغرق في اصلاح محركها. ويدير المحرك الذي يسمع صوته من داخل البيت وكأنه صوت محرك طائرة توشك ان تتطلق محطقة . وفي الصباح يصومونه بالحديقة ، جالسا الى عجلة القيادة ، وقد مات متجمدا بعد ان غطسها الثلج طوال الليل ، فياخونوه الى التلاجة ويجلسونه بجوار زميله ، وراء الباب الزجاجي. وبعد أيام من الوليمة التي لا تنقطع ، يموت المخرج التلفزيوني وقد خرج الى الشرفة ليشاهد « جمال الطبيعة » فينحط جالسا فجأة وهو يخرج ارياحا ذات اصوات مدوية ، ثم تفرغ احشاؤه ما بها ، ويموت غارقا في برازه وعلى وجهه انسامه طوباوية .

ولا يبقى الا القاضي والمدرسة . فيعترف لها باسرار حياتسه الحميمه ، ويحكي لها كيف تمكنت مربيته من ابقائه اعزب عن طريق قضاء حاجاته الجنسية بطريقة شاذة ، ثم يدور بين الاثنين حديثهم عن الزواج . ويلحق القاضي بزملانه الثلاثة وهو جالس في الحديقة صباحا يتناول طبقا هائلا من الحلوى المترججة على شكل نديي امرأة. ونهتد له المدرسة ثيابه ، وتلف دنارا من الصوف حول عنقه ، ثم تفتح باب الحديقة لسيارة نقل كبيرة يأخذ انسان من العمال في نفيغ شحنتها الهائلة من اللحوم على ارض الحديقة .

## انا اذكر

ففي مقابل البقاء السينمائي المتمثل في افلام العري والانارة والقتل والذبح والشطارة والجنس التجاري يوجد - كما ترى - تيار اخر فيه عنف افطع ، وفيه عري وجنس ، لكنه « مشنوم » بالنسبة لمن يعملون ليل نهار على اعادة عقوبة الاعدام . بالنسبة لمن يحلمسون « بدوام الحال » من خلال اعادة ترسيخ « قيم الطبقة المتوسطة » . وقد كتب الصحفي البريطاني المهاجر ( الى اسبانيا ) فرديريك فورسايت ( « ملف الاوديسا » ) يقول : « لقد ولدت ونشأت لا في احضان ما كان يعرف وقتئذ بلاخجل باسم « الطبقة المتوسطة » ، فحسب ، بل في نقطة المركز من تلك الطبقة المتوسطة تماما ، في اسرة مجتهدة من اصحاب الحوانيت ، في مقاطعة كنت . وكان ذلك قبل ان يلوث مصطلح « الطبقة المتوسطة » على ايدي المتعصبين من رجال نقابات العمال ، ويصبح كلمة بذئبة وزرية بفضل مدعي التقدمية الذين لا عقول لهم من كتاب وسائل الاعلام . ولكم يبدو ذلك الوقت بعيدا ! كانه

من قرن مضى ! واستطرد فورسايت فانلا ، لا فصي فوه : « ولقد كانت للطبقة المتوسطة البريطانية سلسلة من المعايير اختارت تلك الطبقة ان تعيش بموجبها ، وبغير كبير صجيج اختارت ان تلتزم بها . تلك المعايير قامت على مجموعة من القيم يمكن ان نجعلها فيما يلي : على كل ان يجد ويعمل لان ذلك هو ما خلق كل منا لاجله ، وعلى كل ان يدفع ثمن ما يحصل عليه من الحياة ، ولا سيبل امامه ليحصل على ما لا يستطيع دفع ثمنه، وان يفي بوعوده ، ويسدد ديونه، وان يكون مؤدبا مع الغير لان ذلك يجعل الحياة الطيف ، بالنسبة اليه والى الاخرين ، وان يعيش كل دون مستوى دخله حتى يستطيع ان يدخر « قرشا ابيض ليوم الاسود » . وقد قامت تلك المعايير ايضا على التمسك بالقيم الاخلاقية المنظمة للعلاقات الجسدية ، وهي قيم قد تبدو - بمعايير المجتمع التسامح - صارمة ومتزمتة ، الا انها افضل من لا قيم على الاطلاق . وقامت اخلاقيات الطبقة المتوسطة ايضا على تأييد البوليس ، واستهجان الجرائم العنيفة ، والنظر بعين الجدد الى الانتخابات . . والايمان بان المرء متى كان امينا مع الحكومة واعطاها ولاءه ، فان الحكومة ستستجيب بسلك عادل تجاهه » ! والعم فورسايت هذا هو الذي وضع الكتاب المشهور « ملف الاوديسا » وقد اخرجته السينما فيلما من افلام الدعاية الصهيونية الصارخة ربط بطريقة بهلوانية ولا غرابة فيها بين هتلر والعرب ! والذي يدعو الى التأمل حقا ان « قيم الطبقة المتوسطة » هذه بعينها التي يتغنى بها السيد فورسايت ، ويحاول القانمون بحملة كاليفورنيا اعادة عقوبة الاعدام واعادة الرفابة معا في ربطة واحدة من خلالها ، تماما كما حاول اليميسن البريطاني مؤخرا اعادة عقوبة الاعدام واعادة بريطانيا الى درب مكارم الاخلاق عن طريقها ، هي هي التي زحف اليمين في المانيا في اواخر العشرينيات واوائل الثلاثينيات وظل يزحف على ارضها اللقومة بالنفاق حتى اجلس هتلر على مقعد المستشارية .

وهناك كثيرون في أوروبا واعون بهذا التماثل الخطر بين ما حدث في اواخر العشرينيات المرححة وبين ما يحدث اليوم في أوروبا . ومن اولئك فليليني . ففي اخر افلامه ، « انا اذكر » « Amarcord » يستعيد - كما فعل في « المهرجين » و « روما » ، وبالحنيفة في سائر افلامه خلا قلة قليلة منها كان ابرزها « الساتيركون » الذي بناه على كتاب بترونيوس - يستعيد فليليني احداث حياته وظل يقبلها ويمن النظر فيها ( وقد قال انه يصنع افلامه ، اساسا ، ليطرد من داخله ما يعتل فيه من حواذات وما يسكنه من شياطين ) . ويعطينا فليليني صورة حية لاسرته وصباه . وهي اسرة من الطبقة المتوسطة ، تحكمها اخلاقيات وقيم تلك الطبقة ، رغم ان ربها ( الاب ) اشتراكي. فذلك الاب يسود عيش الصبي قبلة الوقت بمحاولة صبه صبا في قالب تلك القيم والمعايير التي عندها فورسايت ، ربما مع فارق بسيط هو التباين بين المزاج البريطاني والمزاج الايطالي سريع الاشتعال. والمشكلة ان الصبي ( فليليني ) رغم انه لا يجحد سلطة الاب ، ولا ينكر عليه حقه في ان يحاول صبه في ذلك القالب ، يدرك من كل ما يجري حوله ( مطاردة الاب للخادم الحساء ، وحنون العم الجنسي الذي ادخله مستشفى المجاذيب ) ان تلك المحاولة لا يمكن ان تنبني الا على درجة من التواطؤ ، والسرحة صفيقة الوجه للاشياء ، والرياء يسلم في النهاية انه لا غنى عنها . غير ان الذي لا يعطن اليسه الصبي في الفيلم ، ويركز عليه فليليني تركيزا خاصا ليلفت نظرنا اليه، ان تلك القيم وما تتطلبه من تواطؤ وسرحة ورياء هي التي تتيح للفاشيين ان تكون لهم اليد العليا وان يضعوا كويهم على وجه الاب . وفي ذلك المدار الذي يجتر فيه فليليني اجترارا يبدو ان هذا اوانه « طريقة الحياة » التي جعلت ظهور الفاشية وازدهارها امرا محتوما لا ممكنا فحسب ، يعطينا فيلما قد لا يكون افضل افلامه الا انه من اكثرها ذكاء . حنيفة ان الحياة تبدو من بداية الامر الى نهايته اشبه بهزحة تكون في بعض مقاطعها غير مفهومة ، وفي بعضها

الآخر مبنية ، وحقيقة ان فليليني لا يبدو مستعدا لتقبل اية اوام  
عن جمال الناس او ما فيهم من خير ، فالجميع اقرب الى المهرجين ،  
لكنهم مهرجون مشنومون بعض الشيء ، ورائحتهم خبيثة في مواضع  
كثيرة ، الا انه في النهاية يبدو كمن يهز كتفيه ويقول وهو يعلب كفيه  
« اه ! هذه هي الحياة ! وهؤلاء هم الناس ! » . ومع ذلك فانه لا يتفرز  
منهم او يحتقرهم ، بل تحس لديه محبة مفناظفة من غباثهم الذي يجعلهم  
- مثلا - ينساقون كالخراف وراء وجه الموتشي الكريمة .  
وفي خانمة الطاف يعوضهم عن كل سخفهم وغباثهم بالحلم . الحلم  
الذي في اعماق كل منهم ، صفيرا كان ام كبيرا ، الذي نراه في  
اعينهم وعلى ملامح وجوههم في مشهد من اجمل مشاهد الفيلم الناطفة  
بلمسة الاستاذ بحق ، عندما تخرج البلدة عن بكرة ابيها في القوارب  
الى عرض البحر ، ليقتضي الجميع نهرا كاملا وجزءا طويلا من الليل  
في انتظار مرور « عابرة محيطات » لا يدري احد قادمة من اين او ذاهبة  
الى اين ، لكنها - عندما تهل اخيرا ، فتطلع على اولئك المنتظرين  
المتناقين من قلب الظلمة وانوارها تتألق وانغام موسيقاها تأتي  
من بعيد كنفمة من حلم - تبعت حياة اخرى تجيش في كل القلوب  
لمدى لحظة فتجعلها قلبا واحدا صفليا مليئا بالاحلام والاشواق التي  
لا تصد .

يبدأ الفيلم بحفل « ماردي جرا » يحرق فيه اهل البلدة « ساحرة  
الشتاء » احتفاء بمقدم الربيع ، وينتهي بحفل زواج تصبغ منه كل  
بهجة في قبضة عاصفة رعدية ، وبين البداية والنهاية بلدة تسدو  
اشبه بخشبة مسرح ريفي خائب بعض الشيء تقطع تهريجته بين الحين  
والحين لمسات شاعرية كمشهد ذلك الطاووس الابق الذي يظهر في ميدان  
البلدة الرئيسي ، يتحدى الرنائة ، بقدر ما يتحدى الثلج الناصع

ويبدو ان برناردو برنولوتشي ( « الثورة » ، و « الشريك » ،  
و « الانسان المطابق » ، و اخيرا « التانجو الأخير في باريس » ) لم  
تعجبه رؤية فليليني ، فقرر ان يحاجبها بفيلمه الجديد « 19.. » ، او  
« القرن العشرون » . وسنرى ما يقوله فيه عندما يعرض الفيلم في  
لندن . اما ما يقوله برنولوتشي من الآن فهو ان فيلمه الجديد يقدم  
« تحليلا ماركسيا للواقع الايطالي السياسي والسيكولوجي في الماضي  
( ماضي القرن ) والحاضر . وسنرى ان كان سيقدم - حقيقة -  
تحليلا ايديولوجيا لذلك الواقع ، ام سيحاول - كتابه - ان يسقط  
حوادثه الخاصة ، التي يبدو ان اللواظ على رأسها ، على لوحة  
اجتماعية تاريخية مصورة من وجهة نظره للواقع الذي يتناوله .

لندن

## الفكر العربي

### في معركة النهضة

تأليف الدكتور انور عبدالمك

« هذا الكتاب موجه في المقام الاول الى قطاع محدد من جمهور القراء في العالم العربي ، هو قطاع الجيل  
الجديد من شبابنا العربي في كل مكان ، شباب الريف والمدن ، شباب الفكر والعمل من جيلنا - الذي كان « على موعد مع القدر » - اسهاما  
والسلاح . ربما يجد فيه بعض رجال الفكر والعمل من جيلنا - الذي كان « على موعد مع القدر » - اسهاما  
في نهضتنا الحضارية . نقول « البعض » ، اذ ان منهج التنقيب عن مستقبل الفكر العربي في عصر النهضة  
الحضارية ، وهو المنهج النابع من تغيير الاطار المعرفي - وهو جوهر عملنا النظري القائم منذ 1959 ، والمرتبب ،  
الا وهو تجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعل حضارات الشرق والغرب - نقول : ان هذا المنهج وذلك  
التجديد النظري يمتان على وجه التحديد الى مرحلة الثورة الوطنية التقدمية وغايتها النهضة الحضارية ، وهي  
مرحلة جديدة حقا على المفاهيم والتقاليد الفكرية الموروثة للاجيال السابقة من حركتنا الوطنية المناقمة في اغلب  
الاحيان في اجواء ثقافية - فكرية استشراقية ، او اممية ، او سلفية .

وهو كتاب يتصدى للاجابة على سؤال مركزي في تحركنا العربي المعاصر ، الا وهو : كيف يمكن ان نقيم  
علاقة جدلية ، عضوية ، متصلة ، بين تحركنا الوطني التحرري المتجه الى الثورة الاجتماعية والهدف  
الاشتراكي من ناحية ، وبين اقامة فلسفة تواكب هذا التحرك الذي فرض نفسه على العالم اجمع ، تكون ، على  
وجه التحديد ، فلسفة النهضة الحضارية في مصر والعالم العربي ؟ » .  
- من المقدمة -